(SUJHUS) مجلة جامعة سومر للعلوم الانسانية (ISSN: 2959-5436)
عدد خاص بوقائع المؤتمر العلمي الدولي الثالث للعلوم الانسانية والتربوية والنفسية الذي اقامته جامعة سومر للفترة من 24-25 نيسان 2024 /القسم الثاني/ محور علوم القرآن ومحور اللغة العربية ومحوراللغة الفارسية,
الصفحات 230–248

دلالة التقديم والتأخير في آيات التوحيد في القرآن الكريم

م.م. شروق ماجد شريف المشرفاوي[1]*

[1]كلية التربية الأساسية، جامعة بابل، بابل، العراق

الملخص

"تنوعت الظواهر النحوية في آيات التوحيد في القرآن الكريم، وكان لا بد من استجلاء دلالاتها في التعبير، وتلمس جمالياتها البلاغية في الخطاب، وقد اخترت للدراسة في هذا البحث ظاهرة التقديم والتأخير لما لها من مكانة متميزة في اللغة العربية، وتأخذ بعدًا أسمى في التصرف في فنون الكلام منطلقةً من أبلغ كتاب ينطق بالحق وهو القرآن الكريم المعجزة البيانية الكبرى والمثل الأعلى".

"وقد قُسِمَ البحث على مبحثين، خُصِص المبحث الأول لبيان مفهوم التقديم والتأخير في اللغة والاصطلاح وأهم الدراسات التي سبقت عبد القاهر الجرجاني في هذا الميدان، وعُقِد المبحث الثاني لبيان دلالة التقديم والتأخير في آيات التوحيد في القرآن الكريم. وقد اتبعت المنهج الوصفي التحليلي في عرض الآيات الواردة في سياق التوحيد؛ واستجلاء دلالة هذه الظاهرة النحوية في التعبير عن وحدانية الله تعالى في القرآن الكريم".

الكلمات المفتاحية: دلالة، التقديم، التأخير، التوحيد، الربوبية.

The significance of advance and delay in the verse of monotheism in the Holy Qur'an

Asst.Lecturer. Shrooq Majid Shreef Al-Musharrafawi[1]*

[1] College of Basic Education, University of Babylon, Babylon, Iraq

Abstract:

The grammatical phenomena varied in the verses of monotheism in the Holy Qur'an, and it was necessary to clarify their connotations in expression, and to touch upon their rhetorical aesthetics in speech. I chose for study in this research the phenomenon of precedence and delay because of its distinguished position in the Arabic language, and it takes on a higher dimension in behavior in speech." The arts of speech, starting from the most eloquent book that speaks the truth, which is the Holy Qur'an, the greatest explanatory miracle and the highest example."

"The research was divided into two sections. The first section was devoted to explaining the concept of precedence and delay in language and terminology and the most important studies that preceded Abdul Qahir al-Jurjani in this field. The second section was devoted to explaining the significance of precedence and delay in the verses of monotheism in the Holy Qur'an. I followed the descriptive and analytical approach in presenting the verses. Contained in the context of monotheism, and clarifying the significance of this grammatical phenomenon in expressing the oneness of God Almighty in the Holy Qur'an.

Keywords: significance, introduction, delay, monotheism, divinity.

* **Email address: Shrooqmajid1977@gmail.com**

المبحث الأول

مفهوم التقديم والتأخير

يُقال: "تَقدّمَهُ وتَقدَّمَ عليه، ومنه: قادمة الرّحل: نقيض آخرته" [1]، و" في أسماء الله تعالى المقدّم: هو الّذي يقدّم الأشياء ويضعها في مواضعها، فمن استحقّ التّقديم قدّمه" [2]، ويقال "مضى قدماً وتأخر أخراً. وجاءوا في أخريات الناس" [3] و" أَخَّرْتُه فتأَخَّرَ، واستأْخَرَ كتأَخَّر. وَفِي التَّنْزِيلِ: **(لَا يَسْتَأْخِرُونَ ساعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ)** [الأعراف: 34] ؛ وَفِيهِ أَيضاً: **(وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ)** [الحجر:24]... والآخِرُ: خلافُ الأَوَّل ... الآخِرُ وَالْآخِرَةُ نَقِيضُ الْمُتَقَدِّمِ والمتقدِّمة [4] فالتأخير خلاف التقديم.

والتقديم والتأخير في أصل اللغة متناقضان؛ "حيث يعنى الأول بوضع الشيء أمام غيره وقد كان خلفه، ويعنى الثاني بوضع الشيء خلف غيره وقد كان أمامه، وبالمعنى نفسه انتقل هذا المبحث من الوضع اللغوي إلى الدلالة الاصطلاحية، إذ اعتاد العرب تقديم ماحقه التأخير لفضل دلالة وتمام معنى، وتأخير ما حقه التقديم للغرض ذاته، وذلك يجعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية، أو بعدها؛ لعارض اختصاص، أو أهمية، أو ضرورة " [5].

وفي الاصطلاح عُرِف التقديم على أنّه " تقديم جزء من الكلام بمقتضى البلاغة، حقه أن يتأخر في الترتيب بمقتضى الأصل العام في القواعد" [6]، وعرَّفَهُ آخرون بأنه" التغيير في الترتيب الطبيعي لأجزاء الجملة؛ لغرض بلاغي كزيادة الاهتمام أو القصر أو التشويق، أو لضرورة شعرية" وهذا ما يؤدي إلى تغيير في بنية التراكيب الأصلية فيكسبها حريةً، ولكنها حرية مُقيدة غير مطلقة. فقد ذكر ابن جزي (ت ٧٤١هـ): القاعدة في أوجه الترجيح التي اعتمدها، وذكرها في مقدمة كتابه، فقال: انَّ من وجوه الترجيح: "حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير" [7].

" وقد تحدّث النحويون والبلاغيون عن التقديم والتأخير، وأوّل من ذكر الغرض من التقديم سيبويه (ت: 180هـ) فقد جاء"" في صدر كتابه عن التقديم والتأخير بكلام يُعدّ فيه صاحب الريادة، وأول من طرق هذا اللون البلاغي من العلماء"[8] فقال بعد أن ذكر الفاعل والمفعول " كأنّهم إنّما يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإن كانا جميعًا يهمّانهم ويعنيانهم" [9]، فجعل الغرض من التقديم العناية والاهتمام. ثم انتقل الى غرض بلاغي آخر يسببه التقديم والتأخير وهو إفادة المخاطب التنبيه فقال: " فإذا بنيتَ الفعلَ على الاسم قلتَ: زيدٌ ضربته، فلزمته الهاء. وإنما تريد بقولك مبنى عليه الفعل أنّه فى موضع منطلقٍ إذا قلتَ: عبدُ الله منطلقٌ، فهو فى موضع هذا الذى بُنى على الأول وارتَفع به، فإنّما قلت عبدُ الله فنسبته له ثمّ بنيتَ عليه الفعلَ ورفعتهَ بالابتداء" [10].

"وابن قتيبة (ت276ه) فقد كان التقديم والتأخير جانبًا من اهتماماته فجعله ضمن المقلوب قائلًا":" ومن المقلوب أن يقدم ما يوضحه التأخير ويؤخر ما يوضحه التقديم" [11] فالتقديم والتأخير عند ابن قتيبة يشكل انقلابًا في المعنى والمكان وعدَّهُ ضمن أسلوب المجاز.

أمّا ابن جني (ت395ه) فقد افرد بابًا أسماه: (شجاعة العربية) في كتابه الخصائص وهو" من أقرب الأبواب صلةً بالبلاغة" [12] وقد أفرد فصلًا عن التقديم والتأخير، وجعله على ضربين: "وذلك على ضربين: أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار" [13].

"وأدرك عبد القاهر الجرجاني(ت:471 هـ)، الوظيفة التي يؤديها التقديم والتأخير في الكلام فقال فيه:"" هو بابٌ كثير الفوائد، جمُّ المحاسن، واسع التصرّف، بعيدُ الغاية، لا يزال يفترُّ لك عن بديعه، ويفضي بك إلى لطيفه، ولا تزال ترى شعراً

يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك، أن قُدِّمَ فيه شيء، وحُوِّلَ اللفظ عن مكانٍ إلى مكان"[14]

والتقديمَ عنده على وجهينِ: " تقديمٌ يُقال إنه على نيَّةِ التأخير، وذلك في كلِّ شيءٍ أقرَرْتَه معَ التقديمِ على حُكْمِه الذي كان عليه، وفي جنسهِ الذي كانَ فيه، كخبرِ المبتدأ إذا قدَّمْتَه على المبتدأ، والمفعولِ إذا قدَّمتَه على الفاعل... وتقديمٌ لا على نيَّةِ التأخيرِ، ولكنْ على أنْ تَنقُلَ الشيءَ عن حُكْمٍ إلى حكمٍ، وتجعلَ له بابا غيرَ بابهِ، وإعراباً غيرَ إعرابهِ، وذلك أَن تجيءَ إلى اسمين يُحتملُ كلُّ واحدٍ منهما أَنْ يكونَ مبتدأً ويكونُ الآخرُ خبراً له، فتُقَدِّمُ تارةً هذا على ذاك، وأخرى ذاكَ على هذا" [15].

وللتقديم والتأخير دلالات بلاغية عميقة، تحمل في طياتها فروقًا دقيقةً في خطاب المتلقي [16] .

ويمكن تقسيم التقديم والتأخير على قسمين:

الأول: تقديم اللفظ على عامله كتقديم المفعول به على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وغير ذلك ومنه قوله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** [الفاتحة: 5] إذ تقدم المفعول به (إياك) على الفعل (نعبد، ونستعين).

والآخر: تقديم الألفاظ بعضها على بعض في غير العامل والمعمول كتقديم (التوحيد) على (العبادة) أو(التسبيح)، وتأخير(التوحيد) عن (الربوبية)، وغير ذلك [17] ومنه قوله تعالى: **(لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ)** [الصافات: 35] ودراستنا هذه تُعنى بالقسم الثاني دون الأول؛ لأنها في ضوء الدلالة.

المبحث الثاني

دلالة التقديم والتأخير في آيات التوحيد في القرآن الكريم

قد تُقدم لفظة في موضع وتُؤخر في موضع آخر بحسب ما يقتضيه فن القول وسياق التعبير" وقد بلغ القرآن الكريم في هذا الفن... الذروة في وضع الكلمات الوضع الذي تستحقه في التعبير بحيث تستقر في مكانها المناسب. ولم يكتف... في وضع اللفظة بمراعاة السياق الذي وردت فيه بل راعى جميع المواضع التي وردت فيها اللفظة ونظر إليها نظرة واحدة شاملة في القرآن الكريم كله. فترى التعبير متسقاً متناسقاً مع غيره من التعبيرات كأنه لوحة فنية واحدة مكتملة متكاملة. إن القرآن الكريم دقيق في وضع الألفاظ ورصفها بجنب بعض دقة عجيبة فقد تكون له خطوط عامة في التقديم والتأخير، وقد تكون هناك مواطن تقتضي تقديم هذه اللفظة أو تلك، كل ذلك مراعى فيه سياق الكلام والاتساق العام في التعبير على أكمل وجه وأبهى صورة"[18].

وسنحاول أن نتعرف ما يضفيه التقديم والتأخير من دلالة في سياق التوحيد في القرآن الكريم.

1- تقديم التوحيد على العبادة:

تقدم توحيد الله تعالى على العبادة في (ثلاث مواضع) من القرآن الكريم بحسب استقرائي[19].

ومنه قوله تعالى: **(إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِيٓ).** [طه: 14]

أمره سبحانه وتعالى بالتوحيد بقوله: (إنّني أنا الله لا إله إلّا أنا) ثم أعقبه بأمر العبادة، فقدم التوحيد على العبادة " ؛ لأن التّوحيد أصلٌ، والعبوديّة فرعٌ، والتّوحيد شجرةٌ، والعبوديّة ثمرةٌ، ولا قوام لأحدهما إلّا بالآخر، فهذه الآيات دالّةٌ على شرف العبوديّة" [20].

وهذا يدل على أن " علم الأصول مقدّمٌ على علم الفروع؛ لأنّ التّوحيد من علم الأصول والعبادة من علم الفروع، وأيضًا الفاء في قوله: فاعبدني تدلّ على أنّ عبادته إنّما لزمت لإلهيّته وهذا هو تحقيق العلماء أنّ الله هو المستحقّ للعبادة" [21].

فتبين من ذلك ان الله - عز وجل- قدم التوحيد؛ لأنه الأصل الذي تتفرع منه سائر العبادات.

ومن هذا القبيل أيضًا قوله تعالى: **(وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ)** [الأنبياء: 25]

لقد اتفقت جميع النبوات على عقيدة التوحيد، فتوحيد الله تعالى وانَّه واحد لا شريك له هو الأصل العتيد والجوهر المطلق في العقيدة الدينية، والفكر الإنساني السوي، فلم تختلف النبوات والرسالات الإلهية في الدعوة الى توحيد الله عز وجل، وجاء بيان اتفاق الأنبياء في دعوتهم إلى توحيد الله في القرآن الكريم، بقوله تعالى: **(وَمَا أَرسَلنَا مِن قَبلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعبُدُونِ)** [الانبياء: 25] [22].

وقدم الله تعالى التوحيد ثم أعقبه بالأمر بالعبادة في هذا الموضع؛ لأنَّنا إذا اخذنا بالاعتبار ما ذكر من قصص الأنبياء في هذه السورة لوجدناه مقصورًا على ذكر منحهم وتأييدهم فاقتصر على ما يطلع المؤمنين على تكفله سبحانه وتعالى بالمصطفين من عباده وما خصهم به من النعم والكرامات، وكل ذلك تأنيس وذكر نعم والطاف رب العالمين يناسبه قوله تعالى (فاعبدون) [23].

وفي قوله:(لا إله إلّا أنا فاعبدون)" إشارة الى أن الحكمة في بعثة جميع الأنبياء والرسل مقصورة على هاتين المصلحتين وهما إثبات وحدانية الله تعالى، وتعبده بالإخلاص؛ لتكون فائدة تينك المصلحتين راجعة الى العباد لا الى الله تعالى" [24].

وذهب الشوكاني الى أن في قوله: (نوحي إليه أنّه لا إله إلّا أنا) " تقريرٌ لأمر التّوحيد وتأكيدٌ لما تقدّم من قوله: (هذا ذكر من معي) [25]، وختم الآية بالأمر لعباده بعبادته، فقال: فاعبدون فقد اتّضح لكم دليل العقل، ودليل النّقل، وقامت عليكم حجّة الله" [26].

وأضاف ابن عاشور(ت: 1393 هـ): " أنَّ ذكر هذه الجملة ليس لمجرد تقرير ما ورد قبلها من آي التوحيد، وإنّما فيها" إظهارٌ لعناية الله تعالى بإزالة الشّرك من نفوس البشر وقطع دابره إصلاحًا لعقولهم بأن يزال منها أفظع خطلٍ وأسخف رأيٍ، ولم تقطع دابر الشّرك شريعةٌ كما قطعه الإسلام بحيث لم يحدث الإشراك في هذه الأمّة... وفرّع فيما أوحي إليهم أمره إيّاهم بعبادته على الإعلان بأنّه لا إله غيره، فكان استحقاق العبادة خاصًّا به تعالى" [27].

وإن المتدبر لهذه الآية الكريمة وما سبقها" يراها قد أقامت أحكم الأدلة العقلية والنقلية على وجوب إخلاص العبادة لله الواحد القهار. وعلى أن الذين يتخذون معه آلهة أخرى سفهاء جاهلون" [28].

فتبين مما سبق أنه بعد أن قدم القران الكريم الدلائل الواضحة على وحدانية الله تعالى، وارسل الرسل والانبياء الى البشر بعد ان أوحى لهم بانه اله واحد لا اله الا هو، ولا رب ولا معبود سواه، فاصبح كل شيء واضحًا جليًا لديهم وبذلك أقام

الحجة عليهم، فكان لزامًا عليهم أن يعبدوا الله مخلصين له العبادة بعد كل ما جاءهم من البينات والدلائل على وحدانيته؛ لذلك قدم التوحيد على العبادة ليكون لديهم علم وتصور واضح في سبب أحقيته بالعبادة ...

2- تقديم التوحيد على التسبيح:

ورد تقديم التوحيد على التسبيح في (ستة مواضع) من القرآن الكريم بحسب ما وقفت عليه من استقراء[29] ومنه قوله تعالى: **(يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا).**[النساء: 171]

نزه الله تعالى ذاته عن قول النصارى بالتثليث فأثبت وحدانيته في الإلهية بأسلوب القصر بـ (إنّما) فقال: **(إنّما الله إلهٌ واحدٌ)** [30].

وقوله هذا " إثبات لوحدانية الله- تعالى- بأقوى طريق. أي: إن المعبود بحق ليس إلا واحد، وهو الله- تعالى- ذو الجلال والإكرام، الخالق لهذا الكون، والمدبر لأمره" [31].

وبعد أن نزه الله تعالى نفسه عن الشرك أعقبه بتنزيه نفسه عن الولد فقال: (سبحانه أن يكون له ولدٌ) " [32] وبالإضافة الى ما تفيده كلمة (سبحانه) من قوّة التّنزيه لله تعالى عن أن يكون له ولدٌ، فإنها تدل على غلط مثبتيه [33].

والتعبير القرآني بهذا القول في التنزيه عن الولد يشعر باستحالة هذا الأمر على الله عزّ وجلّ" فإنّ الإلهيّة تنافي الكون أبًا واتّخاذ ابنٍ، لاستحالة الفناء، والاحتياج، والانفصال، والمماثلة للمخلوقات عن الله تعالى. والبنوّة تستلزم ثبوت هذه المستحيلات؛ لأنّ النّسل قانونٌ كونيٌّ للموجودات لحكمة استبقاء النّوع، والنّاس يتطلّبونها لذلك، وللإعانة على لوازم الحياة، وفيها انفصال المولود عن أبيه، وفيها أنّ الابن مماثلة لأبيه فأبوه مماثلٌ له لا محالة" [34].

ثمّ قال تعالى: **(له ما في السّماوات وما في الأرض)**.

وأجمل ما جاء في تفسيره قول الرازي(ت: 606ه): " واعلم أنّه سبحانه في كلّ موضعٍ نزّه نفسه عن الولد ذكر كونه ملكًا ومالكًا لما في السموات وما في الأرض ... والمعنى: من كان مالكًا لكل السموات والأرض ولكلّ ما فيها كان مالكًا لعيسى ولمريم؛ لأنهما كانا في السموات وفي الأرض، وما كانا أعظم من غيرهما في الذّات والصّفات، وإذا كان مالكًا لما هو أعظم منهما فبأن يكون مالكًا لهما أولى، وإذا كانا مملوكين له فكيف يعقل مع هذا توهّم كونهما له ولدًا وزوجةً" [35].

ودلالة تقديم التوحيد على تسبيحه تعالى هي انه " لما كان النزاع إنما هو في الوحدانية من حيث الإلهية، لا من حيث الذات قال : (إله واحد) أي لا تعدد فيه بوجه . ولما كان المقام عظيماً زاد في تقديره، فنزهه عما قالوه فقال : (سبحانه) أي تنزه وبعد بعداً عظيماً وعلا علواً كبيراً ...عن أن (يكون له ولد) أي كما قلتم أيها النصارى فإن ذلك يقتضي الحاجة، ويقتضي التركيب والمجانسة، فلا يكون واحداً" [36].

ومما يجدر الإشارة اليه أن التوحيد قد تقدم على التسبيح في جميع الآيات التي وردت في سياق التوحيد في القران الكريم . ولعل في ذلك" إشارة إلى غناه عز وجل عن أن ينزهه أحد عن الشريك ليثبت وحدانيته فهو الواحد الأحد قبل أن ينزهه المنزّهون " [37]، ففي قوله تعالى: **(أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ٢١ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ)** [الأنبياء: 21، 22]

قد أقام الله تعالى الدليل على وحدانيته ثم ذكر تنزيه ذاته عما إعتقده الضالون المشركون، ودلالة التقديم والتأخير في هذا الموضع " أنه سبحانه لمّا أقام الدلالة القاطعة على التوحيد، قال بعده (فسبحان الله رب العرش عما يصفون)، أي : هو منزه لأجل هذه الأدلة عن وصفهم بأنّ معه إلهًا، وهذا تنبيه على أن الاشتغال بالتسبيح إنما ينفع بعد إقامة الدلالة على كونه تعالى منزهًا " [38].

وبعبارة أخرى " لما أفاد هذا الدليل أنه لا يجوز أن يكون المدبر لها إلا واحداً، وأن ذلك الواحد لا يكون إلا الله قال : (فسبحان الله) أي فتسبب عن ذلك تنزه المتصف بصفات الكمال " [39].

ونجد في السورة نفسها بعد بضع آيات أنّ النبي يونس ـ عليه السلام ـ بدأ بتوحيد الله عز وجل قبل تسبيحه، وهذا ما ورد في قوله تعالى: **(وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)** [الأنبياء: 87]، إذ قدم التوحيد بقوله : (لا إله إلا أنت) ثم أعقبه بالتسبيح بقوله (سبحانك) .

ودلالة تقديم توحيده على تسبيحه أن النبي يونس ـ عليه السلام ـ كان في موقف التجاء الى الله تعالى " وشرط كل من يلتجئ إلى الله أن يبتدئ بالتوحيد ثم بالتسبيح والثناء ثم بالاعتراف والاستغفار والاعتذار، وهذا شرط كل دعاء " [40].

فبعد أن نزه الله تعالى عن الشريك بقوله (لا اله الا انت) قال سبحانك " أي تنزهت عن كل نقص، فلا يقدر على الإنجاء من مثل ما أنا فيه غيرك" [41].

فقدم " التهليل، ليكون كالعلة المبينة لتسبيحه كأنه يقول : لا معبود بالحق يتوجّه إليه غيرك، فأنت منزه مما كان يشعر به فعلي أني آبق منك، معرض عن عبوديتك متوجه إلى سواك، إني كنت ظالمًا لنفسي في فعلي فها أنا متوجّه إليك متبرئ مما كان يشعر به فعلي من التوجه عنك إلى غيرك " [42].

وللأستاذ الدكتور حسن عبيد المعموري رأيٌ يحسن تثبيته هنا إذ قال:" وأحسب أنّ في تأخير يونس ـ عليه السلام ـ تسبيح الله تعالى عن توحيده نكتة أخرى تنضوي ضمن التأدب في خطاب الله عز وجل، وهي أنه ـ عليه السلام ـ اعترف بأنّ الله تعالى واحد منزّه عن الشريك قبل أن ينزهه هو عن ذلك، فكأنه يشير إلى غناه تعالى عن تسبيحه ـ عليه السلام ـ ؛ لأنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له قبل أن ينزهه هو عن الشريك " [43].

3- تقديم التوحيد على الحمد وتأخيره عنه:

ورد تقديم اثبات وحدانيته تعالى على حمده ذاته الشريفة في موضعين من القرآن الكريم بحسب استقرائي[44] ومنه قوله تعالى: **(وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ)** [القصص: 70]

وردت الآية الكريمة في سياق " التنديد بالشرك وتوبيخ المشركين وتحديهم بدعاء شركائهم ليخلصوهم مما هم فيه من العذاب، وكان شركهم باختيارهم الخاص وإرادتهم الحرة إذ تبرأ منهم من اختاروهم آلهة مع الله فعبدوهم معه" [45].

فلما كان السياق في التوحيد ناسب أن يقدم اثبات وحدانيته تعالى، ثم يتلوه بحمد ذاته الشريفة، فعطف على ما تقدم اثبات الوهيته أولًا بقوله: **(وهو الله لا إله إلاّ هو)**، وهو بمثابة النتيجة والتقرير لما قبله؛ ذلك أنّ الله عز وجل " لما بين علمه بما هم عليه من الغل والحسد والسفاهة قال: (وهو الله لا إله هو) وفيه تنبيه على كونه قادراً على كل الممكنات وعالماً بكل المعلومات منزهاً عن النقائص والآفات يجازي المحسنين على طاعتهم ويعاقب العصاة على عصيانهم وفيه نهاية الزجر

والردع للعصاة ونهاية تقوية القلب للمطيعين ... ختم الكلام في ذلك بإظهار هذا التوحيد وبيان أن الحمد والثناء لا يليق إلا به" [46].

ومن ثم أعقبه بحمد ذاته الشريفة فقال:(**له الحمد في الأولى والآخرة)**، فهو بمثابة الاستدلال والتعليل لثبوت الوهيته ونفيها عن غيره؛ ذلك أنّه جل وعلا هو الذي قد أحاط بكلّ أوصاف الكمال والجلال، وهو المنعم على خلقه مؤمنهم وكافرهم فيتوجب أن يكون له الحمد والثناء التامّان في الدنيا والآخرة وحده لا شريك له، وليس ذلك لشيء سواه إن آمنوا أو كفروا؛ لأنه تعالى هو المستحق للألوهية وحده [47].

أمّا تأخير اثبات التوحيد عن حمد ذاته الشريفة فقد ورد في موضع واحد في سياق التوحيد وهو في قوله تعالى:**(وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرٗا)** [الإسراء: 111] وردت الآية الكريمة في سياق الرد على اليهود والنصارى والعرب [48] .

وفي سبب نزولها قال ابن كثير (ت:774 هـ): " إنّ اليهود والنصارى يقولون: اتخذ الله ولدا، وقالت العرب: لبّيك لا شريك لك إلّا شريكًا هو لك تملكه وما ملك، وقال الصّابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذلّ، فأنزل الله هذه الآية **(وقل الحمد لله الّذي لم يتّخذ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذّلّ وكبّره تكبيراً)** " [49].

أما بخصوص مجيء وصفه بنفي الولد والشريك والذل مع التحميد فقد قال الزمخشري (ت: 538هـ) " فإن قلت: كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد؟ قلت: لأنّ من هذا وصفه هو الذي يقدر على إيلاء كل نعمة، فهو الذي يستحق جنس الحمد، وكان النبي ﷺ إذا أفصح الغلام من بنى عبد المطلب علمه هذه الآية" [50].

وقد سبق الآية الكريمة أمره تعالى بأن لا يذكر ولا ينادى إلا بأسمائه الحسنى ثم أعقبه ببيان استحقاقه سبحانه وتعالى للحمد؛ وذلك لاختصاصه بنعوت الكمال وصفات الجلال، قال الرازي " واعلم أنه تعالى لما أمر أن لا يذكر ولا ينادى إلا بأسمائه الحسنى علمه كيفية التحميد فقال: (وقل الحمد لله ...) فذكر ههنا من صفات التنزيه والجلال وهي السلوب ثلاثة أنواع من الصفات: النوع الأول: من الصفات أنه لم يتخذ ولداً والسبب فيه وجوه الأول: أن الولد هو الشيء المتولد من جزء من أجزاء شيء آخر فكل من له ولد فهو مركب من الأجزاء والمركب محدث والمحدث محتاج لا يقدر على كمال الإنعام فلا يستحق كمال الحمد. الثاني: أن كل من له ولد فإنه يمسك جميع النعم لولده فإذا لم يكن له ولد أفاض كل تلك النعم على عبيده. الثالث: أن الولد هو الذي يقوم مقام الوالد بعد انقضائه وفنائه فلو كان له ولد لكان منقضياً ومن كان كذلك لم يقدر على كمال الإنعام في كل الأوقات فوجب أن لا يستحق الحمد على الإطلاق.

والنوع الثاني: ... قوله: (ولم يكن لّه شريكٌ في الملك) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو كان له شريك فحينئذ لا يعرف كونه مستحقاً للحمد والشكر.

والنوع الثالث: قوله: (ولم يكن لّه ولىٌّ مّن الذّلّ) والسبب في اعتبار هذه الصفة أنه لو جاز عليه ولي من الذل لم يجب شكره لتجويز أن غيره حمله على ذلك الإنعام أو منعه منه أما إذا كان منزهاً عن الولد وعن الشريك وكان منزهاً عن أن يكون له ولي يلي أمره كان مستوجباً لأعظم أنواع الحمد ومستحقاً لأجل أقسام الشكر" [51].

وذهب البيضاوي الى أنه تعالى" رتب الحمد عليه للدلالة على أنه الذي يستحق جنس الحمد؛ لأنه الكامل الذات المنفرد بالإيجاد، المنعم على الإطلاق وما عداه ناقص مملوك نعمة، أو منعم عليه؛ ولذلك عطف عليه قوله: وكبّره تكبيراً وفيه

تنبيه على أن العبد وإن بالغ في التنزيه والتمجيد واجتهد في العبادة والتحميد ينبغي أن يعترف بالقصور عن حقه في ذلك" [52].

فقدم الحمد وتلاه بالتوحيد ونفي الشريك عنه تعالى ليكون بمثابة التعليل لاستحقاقه الحمد فهو محمود لأنه " ليس له ولد يحبس نعمه عليه، وليس له شريك يقف أعماله في الملك، ولا ناصر يدفع العدو المذلّ له، وإذا تنزه ربنا عن ذلك فقد أمن الناس نضوب موارده، وأصبحت أبوابه مفتّحة لكل قاصد، فلتغترف أيها العبد من مناهله، ولتعلم أنه لا يحابيك لأجل أهلك ولا نسلك ولا دينك، ولو كنت ابن نبي من الأنبياء أو عظيم من العظماء" [53].

وذكر ابن عاشور أنَّ سبب" إجراء هذه الصّلات الثّلاث على اسم الجلالة الّذي هو متعلّق الحمد؛ لأنّ في هذه الصّلات إيماءً إلى وجه تخصيصه بالحمد...؛ لأنّه أعظم مستحقٍّ لأن يحمد. فالتّخصيص ادّعائيٌّ بادّعاء أنّ دواعي حمد غير الله تعالى في جانب دواعي حمد الله بمنزلة العدم " [54].

ويتضح مما سبق أثر السياق في ترتيب الفاظ الجملة القرآنية، فلما كان المقام في سورة القصص مقام تنديد بالشرك وتوبيخ للمشركين وتحدي للمشركين بأن يدعوا شركائهم الذين اختاروهم ليخلصوهم من العذاب تقدّم اثبات وحدانيته تعالى ونفي الشريك له أولًا.

أمّا المقام في سورة الاسراء فهو مقام رد على اليهود والنصارى والعرب، وقد سبق الآية الكريمة أمره تعالى بإعلان التوحيد **(قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ)**[الإسراء: من الآية 110] لقطع دابر القوم الذين توهموا أن الرحمن اسم لغير الله وانه الهًا شريكًا لله او ناصرًا ومعينًا، فتلاه أمره للنبي ﷺ بأن يقول ما يقلع ذلك كله ويعظمه بأنواع من التعظيم وهو قوله : الحمد لله [55].

فليس ثمة ما يدعو الى تقديم التوحيد هنا؛ لأنه تقدم ذكره وإنما ناسب تأخيره في هذه الآية ليكون تعليلًا لتخصيصه تعالى بالحمد.

4- تقديم التوحيد على التوكل:

تقدم إثبات وحدانيته تعالى على التوكل عليه في سياق توحيد الله تعالى في (ستة مواضع) [56] ومنه قوله تعالى: **(ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ)** [التغابن: 13]

فإنّ المتأمل للسياق الذي وردت فيه الآية الكريمة يلحظ أن بعد ذكر الله تعالى فيما سلف أن الناس قسمان: مؤمن وكافر، ثم أمر بالإيمان والعمل الصالح، ونهى عن الكفر، أبان أن كل ما يصيب الإنسان من خير أو شر، فهو بقضاء الله وقدره بحسب النّظم التي وضعها في الكون، جاء أمره تعالى بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وتوحيده والتوكل عليه وحده [57]. فذكر التوحيد أولًا (الله لا إله إلّا هو) ثم التوكل عليه سبحانه وتعالى (وعلى الله فليتوكّل المؤمنون) .

وفي ورودها في هذا الموضع وتفسيرها عدة أقاويل منها ما ذكره الرازي ان قوله تعالى: (الله لا إله إلّا هو) " يحتمل أن يكون هذا من جملة ما تقدّم من الأوصاف الحميدة لحضرة الله تعالى من قوله: **(يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ**

لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ) [التّغابن: 1] فإنّ من كان موصوفًا بهذه الصّفات ونحوها: فهو الّذي لا إله إلّا هو، أي لا معبود إلّا هو ولا مقصود إلّا هو عليه التوكل في كل بابٍ، وإليه المرجع والمآب، وقوله: وعلى الله فليتوكّل المؤمنون بيان أنّ المؤمن لا يعتمد إلّا عليه، ولا يتقوّى إلّا به لما أنّه يعتقد أنّ القادر بالحقيقة ليس إلّا هو" [58].

وما ذكره ابن كثير أن" الأوّل خبرٌ عن التّوحيد ومعناه معنى الطّلب أي وحّدوا الإلهيّة له وأخلصوها لديه وتوكّلوا عليه، كما قال تعالى: **(رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا)** [المزمل: 9] " [59].

وما ذكره ابن عاشور حيث قال: " ويجوز أن تكون جملة (الله لا إله إلّا هو) في موقع العلّة لجملة **(وأطيعوا الله)** [التغابن: 12] وتفيد أيضًا تعليل جملة **(وأطيعوا الرّسول)** [التغابن: 12]؛ لأنّ طاعة الرّسول ترجع إلى طاعة الله قال تعالى: **(مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللَّهَ)** [النساء: 80] ... وعلى الله فليتوكّل المؤمنون. عطفٌ على وأطيعوا الله فهو في معنى: وتوكّلوا على الله...، وجيء في ذلك بصيغة أمر المؤمنين بالتّوكّل على الله دون غيره ربطًا على قلوبهم وتثبيتًا لنفوسهم كيلا يأسفوا من إعراض المشركين وما يصيبهم منهم وأنّ ذلك لن يضرّهم" [60].

وأن دلالة تقديم التوحيد على التوكل عليه سبحانه وتعالى" أن التوكل قرين التوحيد ونتيجته، ومن أكبر مقاماته، والتوكل هو التفويض إلى الله - عز وجل - مع ترك الاعتراض"[61].

فبدأ بتقرير حقيقة التوحيد ثم يقرر شأن المؤمنين في تعاملهم مع الله تعالى و"حقيقة التوحيد هي أساس التصور الإيماني كله. ومقتضاها أن يكون التوكل عليه وحده. فهذا هو أثر التصور الإيماني في القلوب" [62].

ومن هذا القبيل قوله تعالى: **(رَبُّ المَشرِقِ وَالمَغرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذهُ وَكِيلًا)**[المزمل: 9] فتقدم أثبات وحدانيته تعالى على الامر باتخاذه وكيلا.

ودلالة التقديم ان قوله تعالى: (فاتخذه وكيلا) " مسبب على التهليلة؛ لأنه هو وحده هو الذي يجب لتوحده بالربوبية أن توكل إليه الأمور" [63].

قال الرازي: " واعلم أنّه تعالى لمّا أمره بالذّكر أوّلًا ثمّ بالتّبتّل ثانيًا ذكر السّبب فيه فقال تعالى: **(ربّ المشرق والمغرب لا إله إلاّ هو فاتّخذه وكيلاً)"** [64].

فالله سبحانه وتعالى " هو رب كل متجه.. رب المشرق والمغرب.. وهو الواحد الأحد الذي لا إله إلا هو. فالانقطاع إليه هو الانقطاع للحقيقة الوحيدة في هذا الوجود والتوكل عليه هو التوكل على القوة الوحيدة في هذا الوجود. والاتكال على الله وحده هو الثمرة المباشرة للاعتقاد بوحدانيته، وهيمنته على المشرق والمغرب، أي على الكون كله" [65].

فتبين أنه لما جاء وصف الله تعالى بانه رب المشرق والمغرب فربوبيته للعالم لا يختلف فيها المشركون أعقبه بما يقتضي إبطال دعوى المشركين بتعدد الالهة بقوله تعالى : لا اله الا هو؛ لأنّ تفرّده بالإلوهيّة بمثابة النّتيجة لربوبيّة المشرق والمغرب، ثم تلاه بأمره باتخاذه جل وعلا وكيلًا؛ لأنه مسببًا عن وحدانيته تعالى [66].

ولما كان التوكل عليه تعالى مسببًا عن وحدانيته وجب تقديم اثبات التوحيد أولًا وتأخير التوكل، فمتى ما ثبتت وحدانيته تعالى لزمك أن تتوكل عليه وتفوضه في كل أمورك، ولذلك نجد أن التوحيد تقدم على التوكل في جميع المواضع التي وردت في توحيد الله جلَّ وعلا.

5- تقديم التوحيد على التقوى:

ورد تقديم التوحيد على التقوى في (أربعة مواضع) [67] من القرآن الكريم بحسب ما وقفت عليه من استقراء، ومنه قوله تعالى: **(وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُم هُودًا قَالَ يَا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِن إِلَهٍ غَيرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)** [الأعراف: 65] قدم الله تعالى الامر بعبادته وحده لا شريك له فقال: (اعبدوا الله مالكم من اله غيره) على التقوى أي الاحتراز عن المضارّ؛ لأن عبادة الله تعالى وتوحيده فعلٌ يحصل به التّقوى، أي يوجب الاحتراز، فكأنّه تعالى قال: اعبدوا الله وحده لا شريك له لتحترزوا به عن عقابه [68].

قال أبو حيان الاندلسي(ت:745ه): " وفي قوله أفلا تتّقون استعطافٌ وتحضيضٌ على تحصيل التّقوى ...، وواقعة هودٍ كانت مسبوقةً بواقعة نوحٍ وعهد النّاس قريبٌ بها اكتفى هودٌ بقوله أفلا تتّقون، والمعنى تعرفون أنّ قوم نوحٍ لمّا لم يتّقوا الله وعبدوا غيره حلّ بهم ذلك العذاب الّذي اشتهر خبره في الدّنيا، فقوله أفلا تتّقون إشارةٌ إلى التّخويف بتلك الواقعة المشهورة" [69].

وذكر ابن عاشور أن جملة: (أفلا تتّقون)" استفهاميّةٌ إنكاريّةٌ معطوفةٌ بفاء التّفريع على جملة: ما لكم من إلهٍ غيره. والمراد بالتّقوى الحذر من عقاب الله تعالى على إشراكهم غيره في العبادة واعتقاد الإلهيّة. وفيه تعريضٌ بوعيدهم إن استمرّوا على ذلك. وإنّما ابتدأ بالإنكار عليهم إغلاظًا في الدّعوة وتهويلًا لفظاعة الشّرك، إن كان قال ذلك في ابتداء دعوته، ويحتمل أنّ ذلك حكاية قولٍ من أقواله في تكرير الدّعوة بعد أن دعاهم المرّة بعد المرّة ووعظهم" [70].

فتبين من ذلك دلالة تقديم عبادة الله الواحد الاحد على التقوى؛ لأن عبادة الله هي التي توجب التقوى فكانت بمثابة السبب والنتيجة، فيجب ان يعبدوا الله ولا يشركوا به احدًا ليحترزوا من عقابه.

6- تقديم التوحيد على الاستغفار:

إنّ المتأمل للآيات الواردة في سياق التوحيد يلحظ تقدم التوحيد على الاستغفار في (ثلاثة مواضع) [71]من القرآن الكريم بحسب استقرائي، ومنه قوله تعالى: **(فَاعلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعلَمُ مُتَقَلَّبَكُم وَمَثوَاكُم)** [محمد: 19] فقدم الأمر بمعرفة التوحيد على الامر بالاستغفار.

ولبيان مناسبة نزول الآية عدة وجوه " الأوّل: هو أنّه تعالى لما قال: **(فَقَد جَاءَ أَشرَاطُهَا)** [محمد: 18] قال: فاعلم أنّه لا إله إلّا الله يأتي بالسّاعة...، وثانيها: فقد جاء أشراطها وهي آتيةٌ فكأنّ قائلًا قال متى هذا؟ فقال: فاعلم أنّه لا إله إلّا الله فلا تشتغل به واشتغل بما عليك من الاستغفار، وكن في أيّ وقتٍ مستعدًّا للقائها ويناسبه قوله تعالى: واستغفر لذنبك. الثّالث: فاعلم أنّه لا إله إلّا الله ينفعك" [72].

فتسبب عن ما تقدمها من أخبار عن الساعة وان الذكرى غير نافعة إذا انقضت الدنيا أو جاءت الاشراط الكاشفة لها، أمر أعظم الخلق وأشرفهم (ﷺ) ليكون لغيره تكليفاً فقال تعالى: **(فَاعلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعلَمُ مُتَقَلَّبَكُم وَمَثوَاكُم)** [محمد: 19] [73].

أما ما جاء في تفسير الآية الكريمة فقد نقل الواحدي عن الزجاج أن الخطاب في قوله: **(فاعلم أنّه لا إله إلا الله)** " للنبي ﷺ والمراد به غيره، ويجوز أن يكون المعنى: أقم على ذلك العلم، واثبت عليه. ويجوز أن يكون هذا متعلقًا بما قبله، على

معنى: إذا جاءتهم الساعة (**فاعلم أنّه لا إله إلا الله**) [محمد: 19]، يعني: أن الممالك تبطل عند ذلك، فلا ملك، ولا حكم لأحد إلا الله تعالى، واستغفر لذنبك إنما أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له، لتستن به أمته في الاستغفار" [74].

ويرى ابن كثير انه من باب الاخبار وليس أمرًا " وقوله عز وجل: (فاعلم أنّه لا إله إلّا الله) هذا إخبارٌ بأنّه لا إله إلّا الله ولا يتأتّى كونه آمرًا بعلم ذلك، ولهذا عطف عليه قوله عز وجل: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات)" [75].

وإنّما تقدم التوحيد على الاستغفار في جميع المواضع التي وردت في سياق توحيد الله تعالى؛ لأن السبب فيه كما ذكر الرازي" أن معرفة التوحيد إشارة إلى علم الأصول، والاشتغال بالاستغفار إشارة إلى علم الفروع، والأصل يجب تقديمه على الفرع، فإنه ما لم يعلم وجود الصانع امتنع القيام بطاعته وخدمته" [76].

وذكر في موضع آخر ما يثبت ما ذهب اليه قائلًا:" أنه تعالى لم يذكر في أول كتابه إلا دلائل التوحيد والنبوة والمعاد، فثبت أنه لا بد من تقديم الأصول على الفروع، فلهذا السبب قدم الأمر بالتوحيد على الأمر بالاستغفار، فقال : (فاعلم أنّه لا إله إلّا الله واستغفر لذنبك)" [77].

وتبعه الصرصري في تبني نفس الرأي فذكر أن قوله تعالى: (**فَاعلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاستَغفِر لِذَنبِكَ وَلِلمُؤمِنِينَ وَالمُؤمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعلَمُ مُتَقَلَّبَكُم وَمَثوَاكُم**) [محمد: 19] يحتج به على تقديم أصول الدين كالتوحيد على فروعه كالاستغفار وغيره؛ لتقديمه التوحيد هاهنا، ولأن رتبة الأصل قبل رتبة الفرع، وعلى أن المعتبر في الأصول العلم لا غيره." [78] فالتوحيد يقضي على الشرك ويقتلعه من الأصل والاستغفار يمحو الذنوب ويغفر السيئات التي هي من عوالق الشرك وفروعه.

ويبدو أن السبب في تقديم التوحيد على الشرائع في الموارد المتقدمة الذكر(العبادة، والحمد، والتسبيح، والتقوى، والتوكل، والاستغفار)؛ لأنه لا سبيل لتبين الشرائع إلا بعد معرفة التوحيد، ولا يمكن الانتفاع بها الا بعد اعتقاد التوحيد ؛ فلذلك بدأ بالتوحيد ثم بالشرائع [79].

7- تأخير التوحيد عن نفي الشرك بالله تعالى:

ورد تأخير التوحيد عن نفي الشرك بالله تعالى في كلمة التوحيد في (37موضعاً) بتراكيب مختلفة، وذلك على النحو الآتي :

"ورد قوله تعالى: (**لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ**) (مرتين) [80]، وقوله تعالى: (**لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ**) (29مرة) [81]، وقوله : (**لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا**) (3 مرات) [82]، وقوله: (**لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ**) (مرة واحدة) [83]، وقوله: (**لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيَ**) (مرة واحدة) [84]، وورد اسم (لا) وصفًا في قوله: (**لَا شَرِيكَ لَهُ**) (مرة واحدة) "[85].

ان كلمة التوحيد «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» " مُتَرَكِّبَةٌ مِنْ نَفْيٍ وَإِثْبَاتٍ، فَمَعْنَى النَّفْيِ مِنْهَا: خَلْعُ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْمَعْبُودَاتِ غَيْرَ اللَّهِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ كَائِنَةً مَا كَانَتْ. وَمَعْنَى الْإِثْبَاتِ مِنْهَا: إِفْرَادُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا وَحْدَهُ بِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الْعِبَادَاتِ بِإِخْلَاصٍ، عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي شَرَعَهُ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ" [86].

فـ " نفي الشّرك وإزالة آثاره مُقدَّم في الحقيقة على التوحيد؛ لأنه لا يمكن وضع الطعام السليم في الطبق ما لم يخلُ من الطعام الفاسد، ولذلك نجد أنّ (لا إله) مقدمة في شعار التوحيد على عبارة (إلا الله)." [87] فكلمة التوحيد نفي وإثبات، والنفي مقدم على الإثبات للاهتمام بنفي الشّرك أولًا، ثم إثبات التوحيد لله الواحد الأحد ثانيًا.

8- تأخير التوحيد عن الربوبية:

ورد تأخير التوحيد عن الربوبية في (ثلاثة مواضع) [88] من القرآن الكريم بحسب ما وقفت عليه من استقراء، ومنه قوله تعالى: **(ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ فَاعبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيءٍ وَكِيلٌ)** [الأنعام: 102]

ان السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة يدور حول اثبات عدم وجود كفؤ لله تعالى في صفاته وأفعاله وبيان فساد أقوال المشركين وفساد مذاهبهم، فثبت من ذلك إحاطته سبحانه وتعالى بصفات الكمال، ثم جاء قوله تعالى للإشارة الى ما تقدم بقوله: (ذلكم) أي: ان المتصف بصفات الكمال الذي لا حاجة له الى أي شيء إنّما كل شيء محتاج له هو (الله) الذي له الكمال ربكم الموجد والمحسن اليكم بجميع أنواع الاحسان، فهي فذلكة لما قبلها وثمرته؛ لأن من كان ذلك وصفه هو رب الكل والخالق للجميع والمستحق للعبادة وحده؛ فلذا أعقبه بقوله (لا اله الا هو)؛ لأن المقام للتوحيد اللازم لإحاطته بصفات الكمال والذي هو بمعنى الحمد الذي افتتحت به السورة، ثم ساق قوله (خالق كل شيء) مساق التعليل دليلًا على ذلك [89].

ثم فرع عليه جملة: (فاعبدوه) فـ " جعل الأمر بعبادته مفرّعًا على وصفه بالرّبوبيّة والوحدانيّة لأنّ الرّبوبيّة مقتضية استحقاق العبادة، والانفراد بالرّبوبيّة يقتضي تخصيصه بالعبادة، وقد فهم هذا التّخصيص من التّفريع" [90].

وإنّما قدم الربوبية على التوحيد في هذا المورد؛ لأنَّ " كلمة (رب) هذه هي حيثية (لا إله إلا هو)؛ لأن إلهاً تعني معبودًا، ومعبودًا يعني مطاعًا، ومطاعًا يعني له أوامر ونواهٍ، ولماذا ولأي سبب؟ . السبب أنه الرب المتولي الإيجاد والتربية. ومن الواجب والمعقول أن نسمع كلامه؛ لأنه هو الرّب والخالق وهو الذي يرزق، بدليل أننا حين نسأل أهل الكفر في غفلة شهواتهم: من خلق السموات والأرض؟ تنطق فطرتهم ويقولون: الله هو الذي خلق السموات والأرض... وما دام هو خالق لكل شيء وهو الباقي فهو الأحق بالعبادة... **(ذلكم الله ربّكم لا إله إلاّ هو)** . وهذه شهادة شهد بها لذاته قبل أن يخلق كل شيء، وقبل أن يخلق الملائكة، وشهدت بها ملائكته، وشهد بها أولو العلم. **(شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلمِ قَائِمًا بِالقِسطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ)**[آل عمران: 18] ... إذن فالمنطق يفرض علينا عبادته سبحانه، والأمر المنسجم مع المقدمة، أن لا رب، ولا إله إلا هو، إنه خالق كل شيء؛ لذلك تكون عبادته ضرورة، ويتمثل ذلك أن تطيعه فيما أمر، وفيما نهى" [91].

وهذه الآية نظير قوله تعالى: **(ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم خَالِقُ كُلِّ شَيءٍ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤفَكُونَ)** [غافر: 62] إلا أنَّنا نلحظ من مقابلة هاتين الآيتين نمطًا اخرًا من التقديم والتأخير اقتضاه السياق، فنجد انه جل وعلا في سورة الانعام قدم التوحيد (لا إله الا هو) على (خالق كل شيء)، أما في سورة غافر فقد كان الأمر بالعكس فأخر التوحيد عن (خالق كل شيء) ؛ لأنَّ السياق في سورة الانعام في اثبات التوحيد ونفي الشركاء والبنين والبنات والصاحبة والولد فدفع قول قائله بتقديم التوحيد (لا اله الا اله) أولًا.

أما في سورة غافر فإن السياق في اثبات خلق الناس وتعداد النعم لا في اثبات التوحيد؛ لذا ناسب تقديم (خالق كل شيء) وتأخير التوحيد عنه إذ ليس هناك ما يستدعي تقديمه، فقدم في كل سورة ما يقتضيه المقام وقرائن الأحوال [92].

واتضح مما سبق ذكره أن التعبير القرآني تعبير مقصود، وضع كلّ لفظٍ فيه وضعاً فنياً مقصوداً، وأنه لم يتقدم فيه لفظ أو يتأخر عن رتبته إلا لغرض يقتضيه المقام. وقد روعي في ذلك التعبير القرآني كله، ونظر إليه نظرة واحدة شاملة [93].

الخاتمة

بعد أن منّ الله علينا بإنجاز هذا البحث لابدّ أن نذكر أهم النتائج التي توصلنا اليها، وهي:

1- انّ تتبع التقديم والتأخير نحويًا وبلاغيًا أظهر لنا أن سيبويه يُعد واضع أول قاعدة بلاغية في التقديم والتأخير عندما تحدث عن الاهتمام والعناية في المفعول والفاعل.

2- قدم الله - عز وجل- التوحيد على العبادة؛ لأنه الأصل الذي تتفرع منه سائر العبادات.

3- تبيّن أن التوحيد قد تقدم على التسبيح في جميع الآيات التي وردت في سياق التوحيد في القران الكريم . ولعل في ذلك" إشارة إلى غناه عز وجل عن أن ينزهه أحد عن الشريك ليثبت وحدانيته، فهو الواحد الأحد قبل أن ينزهه المنزّهون.

4- اتضح أثر السياق في ترتيب الفاظ الجملة القرآنية، فاذا كان المقام مقام تنديد بالشرك وتوبيخ للمشركين وتحدي للمشركين بأن يدعوا شركائهم الذين اختاروهم ليخلصوهم من العذاب تقدّم اثبات وحدانيته تعالى ونفي الشريك له أولًا.

5- وجب تقديم اثبات التوحيد أولًا وتأخير التوكل؛ لأنّ التوكل عليه تعالى مسببًا عن وحدانيته، فمتى ما ثبتت وحدانيته تعالى لزمك أن تتوكل عليه وتفوضه في كل أمورك، ولذلك نجد أن التوحيد تقدم على التوكل في جميع المواضع التي وردت في توحيد الله جل وعلا.

6- اتضح أن دلالة تقديم عبادة الله الواحد الاحد على التقوى؛ لأن عبادة الله هي التي توجب التقوى فكانت بمثابة السبب والنتيجة، فيجب ان يعبدوا الله ولا يشركوا به احدًا ليحترزوا من عقابه.

7- تبيّن أن السبب في تقديم التوحيد على الشرائع في الموارد المتقدمة الذكر(العبادة، الحمد، التسبيح، التقوى، التوكل، والاستغفار)؛ لأنه لا سبيل لتبين الشرائع إلا بعد معرفة التوحيد، ولا يمكن الانتفاع بها الا بعد اعتقاد التوحيد ؛ فلذلك بدأ بالتوحيد ثم بالشرائع.

8- ورد تأخير اثبات التوحيد عن حمد ذاته الشريفة في موضع واحد في سياق التوحيد.

9- ورد تأخير التوحيد عن نفي الشرك بالله تعالى في كلمة التوحيد ؛ للاهتمام بنفي الشّرك أولًا، ثم إثبات التوحيد لله الواحد الأحد.

10- اتضح أن سبب تأخير التوحيد عن الربوبية؛ لأنّ الرّبوبيّة مقتضية استحقاق العبادة، والانفراد بالرّبوبيّة يقتضي تخصيصه بالعبادة.

الهوامش:

(1) أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م: 2/ 58.
(2) لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ: 12/ 465.

(3) أساس البلاغة: 22/1.

(5) الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي، (ت: 716ه): تحقيق د. عبد القادر حسين، دار الأوزعي، بيروت- لبنان، ط2، 1409ه-1989م :189.

(6) الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د. كمال عز الدين علي السيد، دار اقرأ، (د.م)، الطبعة الأولى، 1404ه- 1984م: 134.

([7]) التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ: 1/ 19، وينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي بن حسين الحربي، رسالة ماجستير- كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤١٥ هـ بإشرف الشيخ مناع القطان، دار القاسم – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م : 2/ 105.

([8]) التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق – بغداد، الطبعة الأولى - 1996م : 13.

([9]) الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م: 1/ 34.

([10]) الكتاب لسيبويه: 1/ 81.

([11]) تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان: 122.

([12]) أثر النحاة في البحث البلاغي، الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1970م: 298.

([13]) الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة: 2/ 384.

([14]) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق: محمود محمّد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، دار المدنيّ بجدة، الطبعة الثالثة، 1992م: 106.

([15]) دلائل الإعجاز: 1/ 107،106.

([16]) ينظر: دلائل الاعجاز: 124، و التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب، زينة غني عبد الحسين الخفاجي، رسالة دكتوراه، بإشراف: أ. د. هناء جواد العيساوي، جامعة بابل-كلية التربية، 1430ه- 2009م: 122.

([17]) ينظر: التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، 1427ه- 2006م: 49، 51 .

([18]) التعبير القرآني: 53.

([19]) ينظر: الانعام:102، و طه: 14، والأنبياء: 25.

([20]) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازيّ (ت:606 هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420هـ: 1/ 215.

([21]) مفاتيح الغيب: 22/ 19، وينظر: من أسرار التنزيل، فخر الدين الرازيّ (ت:606 هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار المسلم، جمهورية مصر العربية، (د.ت): 20.

([22]) ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ: 2/ 1574.

([23]) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1427ه- 2006م: 2/ 354.

([24]) روح البيان، إسماعيل حقيّ البروسويّ (ت:1137 هـ)، دار الفكر، بيروت، 2003م: 5/ 467.

([25]) الأنبياء: من الآية 24.

([26]) ينظر: فتح القدير، محمّد بن عليّ الشوكانيّ (ت:1250 هـ)، دار ابن كثير- دمشق، دار الكلم الطيّب - بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ: 3/ 476، وفتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنَّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م: 8/ 318.

([27]) التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور (ت:1393 هـ)، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984هـ: 17/ 49.

([28]) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م-1998م: 9/ 199.

([29]) ينظر: النساء: 171، و التوبة: 31، الأنبياء : 22، 87، و المؤمنون: 91، الحشر: 23.

([30]) ينظر: مفاتيح الغيب: 11/ 272، و لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين عليّ بن محمّد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت:741 هـ)، تصحيح: محمّد عليّ شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1415هـ:1/ 452.

([31]) التفسير الوسيط لطنطاوي: 3/ 404.

([32]) ينظر: مفاتيح الغيب: 11/ 272، و لباب التأويل في معاني التنزيل:1/ 452.

([33]) ينظر: التحرير والتنوير: 6/ 58، و تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية، عماد بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٩- ٣٥ - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م: 73.

([34]) التحرير والتنوير:6/ 58، وينظر: و تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية: 74.

([35]) مفاتيح الغيب: 11/ 272.
([36]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعيّ (ت:885 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1995 م: 2/ 377.
([37]) تحليل النص القرآنيّ في سياق الحمد والتسبيح ــ دراسة في مستويات اللغة، د. حسن عبيد المعموريّ، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2019م: 294.
(1) مفاتيح الغيب: 130/22، وينظر: فتح القدير: 3/ 475.
([39]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 5/ 75.
([40]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 12/ 466، وينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - قم، الطبعة الأولى، 1379ه. ش: 10/ 233.
([41]) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 12/ 466.
([42]) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت:1402 هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م : 17/ 171 .
([43]) تحليل النص القرآنيّ في سياق الحمد والتسبيح: 294.
([44]) ينظر: القصص: 70، وغافر: 65.
([45]) أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ-2003م: 4/ 93.
([46]) مفاتيح الغيب: 25/ 10.
([47]) ينظر: نظم الدرر البقاعي 513/5، و فتح البيان في مقاصد القرآن:10/ 143، و محاسن التأويل، جمال الدين القاسميّ (ت:1332 هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ: 7/ 535، و تفسير المراغي:20/ 87، و التحرير والتنوير 20/ 167، و حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة، عماد بن زهير حافظ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (112) 1424ه-2004م: 50.
([48]) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة الأندلسيّ (ت:542 هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ: 3/ 492. 542
([49]) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقيّ (ت:774 هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى - 1419 هـ: 5/ 119، وينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ: 6/ 3139.
([50]) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشريّ (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ : 2/ 701.
([51]) مفاتيح الغيب: 21/ 60، وينظر: فتح القدير : 3/ 315، وتفسير المراغي : 15/ 111.
([52]) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي (ت: 685 هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ: 3/ 270، وينظر: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة الحسنيّ (ت:1224 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م: 3/ 244، وفتح البيان في مقاصد القرآن: 7/ 470.
([53]) تفسير المراغي : 15/ 111، وينظر: تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م):14/ 8818.
([54]) التحرير والتنوير: 15/ 240.
([55]) ينظر: التحرير والتنوير :15/ 239.
([56]) ينظر: النساء: 171، و الأنعام: 102، و التوبة: 129، و الرعد: 30، و التغابن: 13، و المزمل: 9
([57]) ينظر: تفسير المراغي: 28/ 126، والتفسير المنير: 28/ 248.
([58]) مفاتيح الغيب:30/ 555، 556.
([59]) تفسير القرآن العظيم: 8/ 162، والصحيح المسبور من التفسير بالمأثور: 4/ 496.
([60]) التحرير والتنوير: 28/ 282.
([61]) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م: 643.
([62]) في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: 1385 هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ: 6/ 3589.
([63]) الكشاف : 4/ 640.
([64]) مفاتيح الغيب: 30/ 687.
([65]) في ظلال القرآن : 6/ 3746.
([66]) ينظر: التحرير والتنوير: 29/ 267.
([67]) ينظر: الأعراف: 65، والنحل: 2، والمؤمنون: 23، 32.

([68]) ينظر: مفاتيح الغيب: 2/ 335.
([69]) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ: 5/ 86.
([70]) التحرير والتنوير: 8- ب/ 202.
([71]) ينظر: هود: 61، وفصلت: 6، ومحمد: 19.
([72]) مفاتيح الغيب : 28/ 52.
([73]) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 7/ 164.
([74]) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي(ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م: 4/ 125، وينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمّد الحسين بن مسعود البغويّ (ت:510 هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ: 4/ 215، و فتح البيان في مقاصد القرآن: 13/ 66.
([75]) تفسير القرآن العظيم: 7/ 292.
([76]) من أسرار التنزيل : 20.
([77]) من أسرار التنزيل: 28.
([78]) الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية: 584.
([79]) ينظر: محاسن التأويل: 5/ 113.
([80]) ينظر: الصافات:35، ومحمد: 19.
([81]) ينظر: البقرة: 163، 255، وآل عمران: 18،6،2، والنساء: 87، والأنعام : 102، 106، والأعراف: 158، والتوبة: 31، 129، وهود: 14، والرعد: 30، وطه: 8، 98، والمؤمنون: 116، والنمل: 26، والقصص: 70، 88، وفاطر: 3، والزمر: 6، وغافر: 3، 62، 65، والدخان: 8، والحشر: 22، 23، والتغابن: 13، والمزمل: 19.
([82]) ينظر: النحل: 2، وطه: 14، والأنبياء: 25.
([83]) ينظر: الأنبياء: 87.
([84]) ينظر: يونس: 90.
([85]) ينظر: الأنعام: 163.
(86) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م: 3/ 18 .

(87) ينظر: العقائد الإسلامية على ضوء القرآن الكريم، الشيخ محسن قراءتي، ترجمة: احمد حسين بكر، المركز الثقافي للدروس القرآنية، (د. م)، (د. ت): 105.
([88]) ينظر: الأنعام: 102، و الزمر: 6، و غافر: 62.
([89]) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: 2/ 689، 690.
([90]) التحرير والتنوير: 7/ 413.
([91]) تفسير الشعراوي: 6/ 3838، 3839.
([92]) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505هـ)، تحقيق ودراسة وتعليق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م: 67.
([93]) ينظر: التعبير القرآني: 74.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**

1. أثر النحاة في البحث البلاغي، الدكتور عبد القادر حسين، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1970م.
2. أساس البلاغة، جار الله الزمخشري (ت: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1419 هـ - 1998 م.
3. الأساس في التفسير، سعيد حوّى (المتوفى ١٤٠٩ هـ)، دار السلام - القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.
4. الإشارات الإلهية إلي المباحث الأصولية، نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي الصرصري الحنبلي (ت ٧١٦ هـ)، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

5. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
6. إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين الدرويش، دار الإرشاد للشؤون الجامعيّة، دار اليمامة، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، الطبعة الرابعة، 1415هـ.
7. الإكسير في علم التفسير، سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم البغدادي، (ت: 716ه): تحقيق د. عبد القادر حسين، دار الأوزعي، بيروت- لبنان، ط2، 1409ه-1989م .
8. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مدرسة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) - قم، الطبعة الأولى، 1379ه. ش.
9. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين البيضاوي (ت: 685 هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى - 1418 هـ.
10. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، جابر بن موسى بن عبد الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الخامسة، 1424هـ-2003م.
11. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، 1420 هـ.
12. البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ابن عجيبة الحسنيّ (ت:1224 هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشيّ رسلان، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 2002م.
13. البرهان في توجيه متشابه القرآن: محمود بن حمزة بن نصر الكرماني (ت 505هـ)، تحقيق ودراسة وتعليق عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1406هـ - 1986م.
14. تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
15. التحرير والتنوير، محمّد الطاهر بن عاشور (ت:1393 هـ)، الدار التونسيّة للنشر، تونس، 1984هـ.
16. تحليل النص القرآنيّ في سياق الحمد والتسبيح ــ دراسة في مستويات اللغة، د. حسن عبيد المعموريّ، دار الرضوان للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى، 2019م.
17. تسبيح الله ذاته العلية في آيات كتابه السنية، عماد بن زهير حافظ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٩- ٣٥ - ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.
18. التسهيل لعلوم التنزيل، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٦ هـ.
19. التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، الأردن، الطبعة الرابعة، 1427ه- 2006م.
20. تفسير الشعراوي – الخواطر، محمد متولي الشعراوي (ت: 1418هـ)، مطابع أخبار اليوم، (ليس على الكتاب الأصل - المطبوع - أي بيانات عن رقم الطبعة أو غيره، غير أن رقم الإيداع يوضح أنه نشر عام 1997 م).
21. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقيّ (ت:774 هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى - 1419 هـ.
22. تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي (ت: 1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى، 1365 هـ - 1946 م.
23. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة الثانية، 1418 هـ.
24. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، 1997م- 1998م.
25. التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، العراق – بغداد، الطبعة الأولى - 1996م.

26. التقديم والتأخير في النتاج النقدي والبلاغي عند العرب، زينة غني عبد الحسين الخفاجي، رسالة دكتوراه، بإشراف: أ. د. هناء جواد العيساوي، جامعة بابل-كلية التربية، 1430ه- 2009م.
27. الحديث النبوي الشريف من الوجهة البلاغية، د. كمال عز الدين علي السيد، دار اقرأ، (د.م)، الطبعة الأولى، 1404ه- 1984م.
28. حمد الله ذاته الكريمة في آيات كتابه الحكيمة، عماد بن زهير حافظ، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، العدد (112) 1424ه-2004م.
29. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة.
30. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجانيّ، تحقيق: محمود محمّد شاكر أبو فهر، مطبعة المدنيّ بالقاهرة، دار المدنيّ بجدة، الطبعة الثالثة، 1992م.
31. روح البيان، إسماعيل حقيّ البروسويّ (ت:1137 هـ)، دار الفكر، بيروت، 2003م.
32. الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين، دار المآثر للنشر والتوزيع والطباعة- المدينة النبوية، الطبعة : الأولى، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
33. العقائد الإسلامية على ضوء القرآن الكريم، الشيخ محسن قراءتي، ترجمة: احمد حسين بكر، المركز الثقافي للدروس القرآنية، (د. م)، (د. ت).
34. فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن القِنَّوجي (ت: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، 1412 هـ - 1992 م.
35. فتح القدير، محمّد بن عليّ الشوكانيّ (ت:1250 هـ)، دار ابن كثير- دمشق، دار الكلم الطيّب - بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ.
36. في ظلال القرآن، سيد قطب (ت: 1385 هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، الطبعة السابعة عشر، 1412 هـ.
37. قواعد الترجيح عند المفسرين دراسة نظرية تطبيقية، حسين بن علي بن حسين الحربي، رسالة ماجستير- كلية أصول الدين، جامعة الإمام ١٤١٥ هـ بإشرف الشيخ مناع القطان، دار القاسم – السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
38. الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان سيبويه (ت: 180هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1408 هـ - 1988 م.
39. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، جار الله الزمخشريّ (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثالثة، 1407 هـ.
40. لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين عليّ بن محمّد بن إبراهيم المعروف بالخازن (ت:741 هـ)، تصحيح: محمّد عليّ شاهين، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1415ه.
41. لسان العرب، ابن منظور الأنصاري (ت: 711هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة، 1414 هـ.
42. محاسن التأويل، جمال الدين القاسميّ (ت:1332 هـ)، تحقيق: محمّد باسل عيون السود، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1418هـ.
43. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطيّة الأندلسيّ (ت:542 هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلميّة، بيروت، الطبعة الأولى، 1422هـ.
44. معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمّد الحسين بن مسعود البغويّ (ت:510 هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهديّ، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الأولى، 1420هـ.
45. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازيّ (ت:606 هـ)، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، الطبعة الثالثة، 1420ه.
46. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي (ت: 708هـ)، وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، 1427ه- 2006م.

47. من أسرار التنزيل، فخر الدين الرازيّ (ت:606 هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار المسلم، جمهورية مصر العربية، (د.ت).

48. الميزان في تفسير القرآن، السيد محمّد حسين الطباطبائيّ (ت:1402 هـ)، منشورات مؤسّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م .

49. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعيّ (ت:885 هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1415هـ - 1995 م.

50. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي(ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.